كلمة الأستاذ / محمد خزار مدير المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الاسلامية في تأبين المرحوم العقيد / الحاج لخضر رئيس مجمع " أوّل نوفمبر 1954 "

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر...

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ...

لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيئ عنده بأجل مسمى، فلنصبر ولنحتسب..

الحمد لله القائل .. " **تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموتى والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** " ..

الحمد لله القائل " **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النّار وأدخل الجنة فقد فاز ومالحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور**" .

الحمد لله القائل " **كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام** "..

الحمد لله القائل " **إنّك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون**" .

أيها الإخوة ...

هل نحن اليوم نودع رجلاً قضى؟ أم جيلاً من الأعمال الجليلة قد مضىَ؟ ذلك لأن الرجل الذي نودّعه اليوم ونودّعه مثواه الأخير إنما هو أمة في رجل بحق .. رجل نذر حياته لخدمة الحق، فأفنى شبابه وشيخوخته في الأعمال الجليلة التي تجمع بين أمرين قلّما يجمع بينهما رجل : الانتقال من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، الذي لم يفارقه إلاّ عند آخر لحظة يلفظ فيها أنفاسه ليلقى ربه، وهو عنه راض - إن شاء الله - ..

لقد ولد سنة 1916م، بقرية أولاد شليح ولاية باتنة، حيث فتح عينيه على الدنيا ليجد أمته تعيش تحت سيطرة الاستعمار، وكان ذلك بداية لخوض حياة ملؤها الجدّ والاجتهاد.

فكان أن هاجر إلى فرنسا وعمره 20 سنة، وفي نفسه حزن عميق عبّر عنه بقوله :

" **غادرت أرض الوطن سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف، وعمري عشرون سنة، وفي نفسي حزن عميق، وفي قلبي أضمر تجاه الفرنسيين التفكير في طريقة للتخلص منهم** " .

ولم يلبث أن عاد إلى أرض الوطن في بداية الحرب العالمية الثانية، لينخرط في العمل النضالي، إعدادا للثورة، فكان أوّل عمل قام به هو تكوين خلية سرية بمدينة باتنة سنة 1939م .

وفي سنة 1941 اتصل به الشهيد مصطفى بن بولعيد، وأعطاه برنامج عمل جديد لتوسيع الخلايا، وسرعان ما بدأ الإعداد للثورة التي شاء الله أن تنفجر سنة 1954م . في ليلة الفاتح من نوفمبر، وكان الحاج على رأس المجموعة التي قامت بعملية مداهمة للثكنة العسكرية بمدينة باتنة .

وهكذا بدأ العمل يأخذ منحىً جهاديًّا جديدا، ينتقل من الفكرة إلى العمل الذي أثمر الاستقلال سنة 1962م، فتحرّر الإنسان الجزائري من العبودية الجسدية، وبقيّ أن يتحرّر من العبودية الفكرية .

وهو ما نذر له الحاج لخضر حياته من جديد، تمثّل في بناء قلعة الاسلام المباركة، فاختار منطقة المطار العسكري القديم الذي كان منطلقا لطائرات العدو مكانا للقلعة الجديدة .

كان الرجل يرى أن هذا المنطلق ينبغي أن يتحول إلى منطلق يحمل دلالات جديدة تتمثل في انطلاق الفكرة السامية التي تحرر العقول وتطهّر الأرواح. وكان أمله في الله كبيرا، ممّا ساعده على أن يكون على رأس لجنة دينية وقفت وقفة رجل واحد لإنجاز هذا المجمع العظيم الذي نودّعه منه اليوم .

هذا المجمع الذي سيظل منارة للأجيال، تستقى منه الهدى والعلم، متحدثا بفضل هذا الرجل وجهوده الدائبة وإرادته الفذه وعزيمته القوية في إنجاز الأعمال التي لا ينهض بها إلاّ ذوو الهمم والعزائم.

ولقد شاء الله أن يمدّ في عمر هذا المجاهد الطاهر، حتى يرى

ثمرة هذا الجهاد الأكبر، كما رأى ثمرة الجهاد الأصغر، فطوبى له، وطوبى لرجال عرفوا قيمة الأعمال الجليلة فحافظوا عليها وتنافسوا في استكمالها والإنشاء على منوالها : " **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**" .

أيها الإخوة ..

لقد رحل الحاج لخضر رحمه الله، وترك في أعناقنا هذه الأمانة الثقيلة التي يجب علينا أن نرعاها ونصونها حتى نبلغ بها الغاية التي كان يرمي إليها، وإن ذلك يحتاج الى ذوي الهمم والعزائم .. فكونوا خير خلف لخير سلف، كما كان هو خير خلف لمن سلف من الشهداء والصالحين من أبناء هذا الوطن، حتى ليمكننا أن نقول : ليت الذين جاهدوا في ثورة التحرير قد حققوا كما حقق هو الانتقال من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر، ولكن كلّ ميسّر لما خلق له ...

إنّ رحيل هذا الرجل ، وفي هذه الظروف، لذو وقع شديد على نفوس أبناء هذه الأمة الذين كان لهم بمثابة الأب الرحيم والأخ المخلص .. إذ أصبحوا يشعرون بعده باليتم والغربة .

أيها الرّجل العظيم .

إننا إذ نودعك .. إنما نودع فيك الحارس الأمين على هذا المشروع الحضاري الكبير، الذي أفنيت فيه شيخوختك وأرهقت في سبيل إنجازه قوتك، لذلك فإن أحق الناس بالحزن على فراقك بعد أهل بيتك الصغير، هم أهل البيت الكبير، الذي كنت مواظبا على الحضور إليه صباحا ومساء دون كلل أو ملل، ولم تكن تفارقه إلاّ لأداء الصلوات أو لأمر عارض .

إن طلاب هذا المعهد، من تخرج منهم ومن لايزال، وإن أساتذته وموظفيه وعماله، ليشهدون جميعا أنك كنت الأب الحاني الذي يرجعون إليه كلما سدّت في وجوههم الأبواب .

وكيف لا؟ ألست أنت من أنشأ هذا المعهد؟ ومن سعى الى ترسيمه؟ ثم حرص على استقلاليته ليصبح مؤسسة شامخة قائمة الكيان راسخة البنيان .

إنّ أبناءك (أساتذة وطلبة وإداريين وعمالا) لاينسون تلك الجولات التفقدية اليومية التي كنت تقوم بها للاطمئنان على سير المؤسسة وانتظام عملها .. وكم كان يثلج صدرك أن ترى أبناءك وهم جلوس على مقاعد الدراسة تغص بهم المدرجات والقاعات، فترفع أكف الضّراعة الى اللّه

حامدا شاكرا أن حقق أمنيتك وأنجز أملك .

اللهم اغفر لعمنا الحاج لخضر، وارفع درجته في المهتديين، واغفر له ولنا يارب العالمين .. وافسح له في قبره، ونوّر له فيه .

اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك .. كان يشهد أن لاإله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك ... اللهم إنّا نشهد أنه كان محسنا، وأنت أعلم بذلك .. اللهم فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته ..

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، واكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد .. ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار ..

اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده، واغفر له ولنا ..

" يا أيّها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا. إنّ وعد الله حق فلا تغرنكمّ الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت . إنّ الله عليم خبير".

إن العين تدمع، وإن القلب يحزن، ولانقول إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنا لفراقك - أيها الرّجل العظيم - لمحزنون .

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم

باتنة في : 27 شوّال 1418هـ
الموافق لـ : 1998/02/24م .